ندوة النوازل الفقهية عند المالكية:
تأصيلا وتطبيقا
مؤسسة دار الحديث الحسنية
2 - 3 جمادى الثانية 1438هـ/ 1 - 2 مارس 2017م

ذ. محمد بوت

عنوان المشـــاركة:

ظاهر تعدد الفتاوى في النازلة الواحدة نماذج تطبيقية من خلال النوازل الفقهية بسوس

ملخص المشاركة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديهم واتبع سننهم إلى يوم الدين .

أما بعد، فإن من أجل العلوم وأشرفها علم الشريعة الإسلامية المستمد من كتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وأرفع علم في الشريعة الإسلامية علم الفقه الذي يعتبر أساس الدين وقوام العبادة، إذ به يعبد المؤمن ربه وبمعرفة أحكامه يدرك المسلم حدود الحلال والحرام ومن ثم يفقه ما كلف به في شريعة ربه.

فنظام حياة المسلمين أفرادا وجماعات أساسه فقه الشريعة الإسلامية فهو القانون الذي يخضع له المسلم في حياته وعلى نهجه وهديه تقوم علاقة الناس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في نظامها الشمولي ووجودها الكوني.

ومن هنا تتجلى المكانة الهامة لفقه الشريعة الإسلامية وتبرز مكانة الفقيه ودرجاته العليا ومقامه عند ربه الذي رفع مقامه وأعلى شأنه حين قال تعالى: "فلولا نفر من فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين .."ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

وتعتبر النوازل الفقهية من أدق وأعمق أنواع الفقه حيث يبذل الفقيه قصارى جهده في البحث عن الجواب للسؤال المعروض عليه والنازلة المبسوطة أمامه التي ينتظر الناس فك لغزها وكشف سرها، إذ المجتمع البشري يرشح بالنوازل والحوادث ؛ وتحدث فيه الأقضية باستمرار، فاحتاج الأمر إلى فقهاء نبهاء؛ ذوي ملكة اجتهادية ونظر ثاقب؛ قادرين على الغوص في أعماق الشريعة واصطياد الجواهر الثمينة ؛ من نصوص الكتاب والسنة؛ فيستنبطون منها أحكام النوازل ويجيبون على الأسئلة بفتاوى تكون لأصحابها شافية وفي موضوعها وافية كافية.

وهكذا فإن فقه النوازل يتميز بكونه فقها اجتهاديا واقعيا يستند إلى واقع الناس ويراعي حالهم وأحوالهم ، ويستمد قوته وحجيته من الأعراف والعادات المنضبطة مع أصول الشريعة. ومن هنا فإن فقه النوازل يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ، كما أنه يزدهر بكثرة النوازل والوقائع إذ هي المحرك والمحفز للفتوى.

ويعد المذهب المالكي من أكثر المذاهب الفقهية ثراء وغنى في مجال النوازل والفتاوى، كما يعتبر الفقهاء المغاربة من أكثر الفقهاء المشتغلين بالنوازل الفقهية ومعالجة الأحداث والمستجدات التي تطرأ في حياة الناس؛ سواء تعلقت بالعبادات وطرائق ممارستها وأدائها أو تعلقت بالعادات والمعاملات التي تلامس حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث برز فقهاء أعلام في الاجتهاد والنظر والفتوى تصدوا لكثير من النوازل باجتهاداتهم وآرائهم ... ، وألفوا في ذلك مصنفات مطولة صارت مصدرا ومرجعا للفقهاء المقلدين الذين جاءوا من بعدهم؛ وللباحثين والدارسين الذين يستقرؤون هذه النوازل ويقيسون عليها نظائرها ؛ فيستنتجون من خلالها الأحكام للحوادث المستجدة في العصر الحاضر.

وإذا كانت النوازل الفقهية تصنف حسب المناطق والبلدان ، فإن منطقة سوس من أغنى المناطق في المملكة المغربية الشريفة؛ من حيث كثرة النوازل ووفرة الفتاوى التي تحفل بها الكتب والدواوين المفردة لذلك ، وقد تصدر للنوازل الفقهية بسوس جهابذة أفذاذ خلد التاريخ ذكراهم وذاع صيتهم في الأفاق وسودوا بأقلامهم قراطيس وصحفا ملأت الأرجاء، فما زالت الأيدي تتداولها والعقول تتذكرها والأفواه ترددها ؛ حتى كأنها باكورة يومها لمناسبتها مع العصر الحاضر وتلاؤمها مع المستجدات الواقعية.

ومن أعلام النوازل في سوس الذين يشكلون مرجع هذا الموضوع أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- القاضي سيدي سعيد ين علي الهوزلي ت 1001 هـ .
- محمد بن علي الهوزلي ت 1012 هـ .
- أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي قاضي تارودانت ت 1060 هـ .
- القاضي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ت 1062 هـ .
- علي بن محمد بن أبي بكر البرجي الرسموكي ت 1090هـ .
- أحمد بن محمد بن داوود أحوزي الهشتوكي ت 1127 هـ .
- أحمد بن سليمان الرسموكيالتغاتيني ت 1133 هـ .

وسأحاول من خلال هذا البحث أن أستقرئ جملة من النوازل الفقهية السوسية التي وردت في شأنها فتاوى متعددة, حيث سأدرس بعض النماذج ، مثل مسألة الكد والسعاية التي وردت في شأنها فتاوى متعددة لكثير من الفقهاء السوسيين المجتهدين، وكذلك مسألة الحبس فهي أيضا صدرت في شأنها عدة فتاوى من فقهاء سوس. ثم مسألة جهاز المرأة التي عرفها القطر السوسي وكانت ظاهرة منتشرة بكثرة. وقد طرحت في شانها فتاوى عديدة متنوعة لمست مختلف الجوانب، ودققت في التفاصيل وفي الجزئيات، وحاول الفقهاء معالجة تشعباتها ومقاربتها من وجهة الشريعة الإسلامية في ضوء الفقه المالكي.

وسأسلك في دراسة هذا الموضوع وتجليته وبيان حقيقته وكشف أسراره، منهج الجمع والاستقراء؛ من خلال استقصاء كتب النوازل واستنطاقها؛ للاستفادة منها واستخلاص دررها وجواهرها؛ التي يتكون منها العقد المنظوم لموضوعنا المعلوم، كما سأحاول قراءة تلك الفتاوى ودراستها بعد جمعها وترتيبها وتصنيفها. ثم أقارنها من حيث الاستدلال ونوع الدليل وقوته ومدى تطابقه مع منهج الاستدلال في المذهب المالكي، إضافة إلى ذلك سأنظر في تلك الفتاوى والنوازل من حيث تاريخ صدورها وزمن طرحها ؛ بالاعتماد أساسا على العصر الذي عاش فيه الفقيه المفتي في تلك النازلة .

كما يقتضي المنهج المتبع في هذا الموضوع أيضا؛ كشف النقاب ورفع اللثام عن طريقة معالجة تلك النوازل، وصناعتها الفقهية، وكيفية عرض الخلاف وسوق الآراء، وتوظيف القواعد واستثمارها، والإحالة على المصادر وتصنيفها. للتوصل إلى الجواب الكافي لحل إشكال النازلة وإزالة غموضها ولبسها.

وتحديد درجة الاستدلال، والمقارنة بينها، مع بيان مدى حجيتها وصلاحيتها للقياس عليها وإعمالها في الوقائع المستجدة، تطبيقا للاجتهاد الانتقائي. إلى غير ذلك مما يقتضيه منهج الدراسة

خاتمة: أضمنها الخلاصات والاستنتاجات المستفادة من الموضوع.